تكملة

(١٥) باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشرِكُونَ مَا لا يَخلُقُ شَيئًا وَهُم يُخلَقُونَ ۝ وَلا يَستَطِيعُونَ لَهُم نَصرًا وَلا أَنفُسَهُم يَنصُرُونَ۝﴾[1].

لازلنا نشرح كتاب التوحيد و قد وصلنا الى الباب الذي عقده الشيخ، وقلنا انّ الشيخ رحمه الله أراد بعقد هذا الباب أن يُبيِّن أنّ شرك من ينتسبون الى الاسلام الذي يفعله بعض من ينتسبون الى الاسلام هو من جنس المشركين المتقدِّمين الذين قاتلهم النبي ﷺ على ذلك الشرك وأنّ النذر لغير الله والاستغاثة بغير الله ودعاء غير الله و التبرُّك بالأشجار ة الأحجار والقبور وغير ذلك فهي ممّا يُناقض الاسلام ويرفع الاسلام.

فالشيخ أراد أن يُبيِّن أنّ الشرك يقع من بعض المنتسبين الى دين الاسلام هو موافقٌ لشرك المتقدِّمين في حقيقته وفي سببه وفي أثره،

-في حقيقته:

فالمُتقدِّمون قد أشركوا بالله بعض خلقه، وبعض من ينتسبون الى الاسلام قد أشركوا بالله بعض خلقه.

-في سببه:

فانّ المشركين المتقدِّمين انّما أشركوا بالله عزّوجل لقصدهم أن يجلب لهم أولئك الشركاء النفع أو يدفع عنهم الضرّ أو ليجعلوهم زُلفا الى الله ووسائط بينهم وبين الله عزّوجل في جلب النفع أو دفع الضرّ، وهكذا فعل من ينتسبون الى الاسلام

بإشراكهم بعض المخلوقين مع الله رجاء جلب النفع أو دفع الضرّ أو أنّهم يقولون هم وسائطنا وشفعاءنا عند الله عزّوجل فيصرفون لهم العبادة ليكونوا شُفعاء لهم وهذا هو سبب شرك المشركين المتقدِّمين.

-في أثره:

فانّ شرك المتقدِّمين ضمُ عظيم يُحرَّمُ على الانسان بسببه الجنّة و تُوجَبُ له النار ولا يُحصِّل المشرك مقصوده في الدنيا باشراكه بالله عزّوجل، وكذا من يُشركُ بالله من بعض من ينتسبون الى الاسلام أعني من يفعل الشرك الذي تقدّم بيانه، كالنذر لغير الله عزّوجل و الذبح لغير الله و الاستغاثة لغير الله والاستعاذة بغير الله على التفصيل الذي قدّمناه وبيّناه فيما تقدّم معنا في الدروس.

كما أنّ الشيخ رحمه الله أراد في عقد هذا الباب أن يُبيِّن لكلّ عاقل أنّه لا يوجد مخلوق في الدنيا مهما علا شرفه وعظُم فظله يستحقُّ أن يُصرَف له شيء من أنواع العبادة لأنّ كلّ مخلوق في الدنيا لا بدّ أن يتّصف بصفات تقتضي أنّه لا يستحقُّ أن يُعبد من دون الله عزّوجل،

-فهو لا يستطيع أن يخلق شيئًا ولو حقيرًا ولو صغيرا،

-وهو مخلوقٌ مَربُوب،

-وهو لا يستطيع أن ينصُرَ غيره حتى لو أراد أن ينصر غيره لا يستطيع أن ينصر غيره الاّ بأمر الله سبحانه وتعالى،

-أنّه لا يستطيع أن ينصر نفسه هو،

-أنّه لا يملك شيئًا،

ومن اتّصف بهذه الصفات أو بواحد منها لا شكّ أنّه لا يستحقُّ أن يُصرَف له شيءٌ من أنواع العبادة، وانّما تُصرف العبادة لله عزّوجل الذي خلق الخلق أجمعين والذي له المُلك المُطلقُ التّام، والذي ينصر من شاء من عباده، واذا أراد بعبده خيرًا لم يستطع أحدٌ أن يمنع الخير عنه، وان أراد أن يمسَّ عبده بضرٍّ لم يستطع أحدٌ أن يكشف الضرّ عنه الاّ باذن الله سبحانه وتعالى، فهو المُستحقُّ للعبادة.

ومن فقه الشيخ العظيم أنّه أورد حديث عظيم يدلُّ كل مسلم على أنّه لا يوجد أيّ مخلوق في الدنيا يستحقُّ أن يُصرفَ له شيء من أنواع العبادة، وهو حديث أنّ النبي ﷺ في يوم أُحُد شُجَّ رأسه فشُجَّت جبهته الشريفة ﷺ، وكُسرت رَباعيَّته كسرًا و لم تُقلَع قلعًا ﷺ وكان الدم يسيل منه وهو يسلتُ الدم عنه ويقول:﴿كيف يُفلحُ قومٌ شجَّوْ نبيّهم وكَسَروا رُباعيّته وهو يدعوهم الى الله﴾ فأنزل الله عزّوجل:﴿ليس لك من الأمر شيء﴾، فاذا كان حبيبنا ورسولنا وقدوتنا سيّد ولد آدم أفضل خلق الله ﷺ لم يستطع أن يمنع عن نفسه أن يُجرَح وأن تُكسَر سنّه ﷺ، و لم يستطع أن يمنع قتل عمّه ولا قتل السبعين من صحابته رضوان الله عليهم، فانّ مَن دونه أعجز وأضعف، ولا شكّ أنّ النبي ﷺ لا يجوز أن يُصرَف له شيء من العبادة فكيف مَن دونه من الناس، والله سبحانه وتعالى أنزل عليه قوله :﴿ ليس عليك من الأمر شيء﴾، فالأمر كلّه لله سبحانه وتعالى، فاذا كان للنبي ﷺ ليس له من الأمر شيء، ليس له أن يتصرَّف في الكون، ليس له أن ينصُرَ الاّ باذن الله، ليس أن يضرَّ أحدًا باذن الله، فهو لا يستحقُّ أن يُعبد من دون الله، فمن باب أولى من كان دونه من الناس.

المتن:

٣٣- وفيه: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ[٧] يقول: إِذَا رَفَعَ رَأسَهُ مِن الرُّكُوعِ في الرَّكعَةِ الأَخِيرَةِ مِن الفَجرِ، بَعدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ الله لِمَن حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمدُ، اللهمَّ العَن فُلَانًا وَفُلَانًا». فَأَنزَلَ الله: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ﴾ الآية[١][٢].

الشرح:

وفيه أي في صحيح البخاري،

عن ابن عمر رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول:

-**اذا رفع رأسه من الركوع في الرّكعة الأخيرة من الفجر**: وهذا -ياخوة- ما يسمى عند أهل العلم بقنوت النوازل، فاذا نزلت نازلة أو مُصيبة بالأمة، يقنت في الصلاة، والنبي ﷺ لما قتل السبعون من أصحابه وشُجَّ في رأسه و كُسرَ سنُّه ﷺ في يوم أُحُد، كان يقنُتُ في صلاة الفجر بعد أن يرفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر، ويقول: بعدما أن يقول: سمع الله لمن حمد، ربَّنا و لك الحمد:

-**اللهمّ العَن فلانًا و فلانًا**: كان النبي ﷺ من شفقته على أصحابه يدعوا على بعض أحياء العرب باللّعن، وهم بعض الأحياء كانوا يُؤذون أصحاب النبي ﷺ، ويريدون فتنتهم عن دينهم، فكان النبي ﷺ يلعن و يدعوا عليهم باللّعن

في صلاته على بعض أحياء العرب، كما كان النبي ﷺ يدعوا باللّعنة على بعض الأفراد بأعيانهم،

ومن ذلك ما جاء عند الترمذي، أنّ النبي ﷺ قال يوم أُحُد: ﴿ اللّهم العن أبا سفيان، اللّهم العن الحارث ابن هشام، اللّهم العن صَفوان ابن أُميّة﴾ فنزلت: ﴿ ليس لك من الأمر شيء﴾، قال عبد الله ابن عمر: ﴿ فتاب الله عليهم، فأسلموا فحسُن اسلامهم﴾، رواه الترمذي كما قلنا وصحّحه الشيخ الألباني.

النبي ﷺ خصّ هؤلاء الثلاثة بالدعاء عليهم باللّعن بعد أُحُد لأنّهم كانوا أشدّ المشركين في ذلك الوقت أذيّةً للمسلمين يوم أُحُد في القتال، فكان النبي ﷺ يخصُّهم باللعن، ومع ذلك لم يُستجَب للنبي ﷺ فيهم، هنا -ياإخوة- عدة براهين:

- **البرهان الأوّل:**

أنّ النبي ﷺ ومعه سادات الأولياء، صحابته رضوان الله عليهم كانوا يقنتون في الفجر، ويسألون الله، ما سأل الصحابة رسول الله ﷺ ، وما استقلّ النبي ﷺ بقدرة، بل كان النبي ﷺ يسأل الله ويدعوا الله سبحانه وتعالى، فالنبي مُحتاجٌ الى الله، و المُحتاج لا يُعبد، ولذلك -ياإخوة- :

- في بدر دعا النبي ﷺ ربّه دعاءاً طويلاً،
- في أُحُد بعدما أصاب المسلمون ما أصابهم، النبي ﷺ دعا في القنوت على بعض من كانوا مشركين في ذلك الوقت،
- لمّا سُحر النبي ﷺ دعا و دعا ودعا حتى بيّن الله عزّوجل له الأمر.

- **البرهان الثاني:**

أن النبي ﷺ مع دعائه على هؤلاء باللّعن لم يستجب الله دعاءه، بل أسلموا وحسُن اسلامهم وجاهدوا في سبيل الله وكانوا من صحابة رسول الله ﷺ.

- **البرهان الثالث:**

أن الله عزّوجل أنزل على نبيِّه: ﴿ ليس لك من الأمر شيء﴾،

أيضًا قبل هذه الآية كان النبي ﷺ يدعوا على بعض المنافقين باللّعن، لشدّة أذاهم بالمسلمين، حتى أُنزلت هذه الآية.

اذًا الشيخ أورد هذا الحديث ليبيِّن لنا أنّ النبي ﷺ وهو أفضل خلق الله لا يستحقُّ أن يُعبد، فكيف بمن دونه من المخلوقات.

المتن:

٣٤- وفي رواية: يَدعُو عَلَى صَفوَانَ بنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيلِ بنِ عَمرٍو، وَالحَارِثِ بنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَت: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ﴾[٣].

الشرح:

نعم، هذه الرواية جاءت مرسلة عند البخاري، وموصولة عند الامام أحمد بلفظ: ﴿ اللّهم العن الحارث ابن هشام، اللّهم العن سُهيل ابن عَمر، اللّهم العن صَفوان ابن أُميّة﴾، فكان النبي ﷺ يدعوا على هؤلاء الثلاثة، ويُضاف لهم رابع أبو سفيان، ومع ذلك لم يُستجَب للنبي ﷺ فيه، بل تاب الله عليهم جميعًا، وأسلموا وحسُن

اسلامهم، فهذا يدلّ على أنّ النبي ﷺ ليس له من الأمر شيء، كما نصّت على ذلك الآية.

المتن:

٣٥- وَفِيهِ: عَن أَبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أَنزَلَ الله عَلَيهِ[٤]: ﴿وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِينَ ۞﴾[٥]، صَعِدَ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ!»، أَو كَلِمَةً نَحوَهَا: «اشتَرُوا أَنفُسَكُم، لَا أُغنِي عَنكُم مِن الله شَيئًا، يَا عَبَّاسُ بنَ عَبدِالمُطَّلِبِ! لَا أُغنِي عَنكَ مِن الله شَيئًا! وَيَا صَفِيَّةُ، عَمَّةَ رَسُول الله ﷺ! لَا أُغنِي عَنكِ مِن الله شَيئًا، وَيَا فَاطِمَةُ[٦] بِنتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مِن مَالِي مَا شِئتِ، لَا أُغنِي عَنكِ مِن الله شَيئًا»[٧].

الشرح:

نعم، هذا الحديث في الصحيحين عند البخاري ومسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه:

- **«وأنذر عشيرتك الأقربين»**: فأُمِرَ ﷺ أولاً أن يُنذِر عشيرته الأقربين، وكان هذا في أوّل الأمر، فقام النبي ﷺ بما أُمِر به،

فقال: "يا معشر قريش، أو قال كلمةً نحوها":

- **"اشتروا أنفسكم"**: أي أنقذوا أنفسكم من عذاب الله، أي خلِّصوها من عذاب الله وذلك بالتوحيد، فانّ من مات على الشرك كان المُعذّبين يقينًا، لا تنفه شفاعة الشافعين، ولا يُشفع له ولا يُخرجُ من النار.

- **"لا أُغني عنكم من الله شيئًا"**: النبي ﷺ يقول لعشيرته الأقربين لقريش، لا أغني عنكم من الله شيئًا، وشيئًا نكرة في سياق النفي فتَعُمُّ كلّ شيء،

من القائل ؟ هو النبي ﷺ،

هل هناك شكّ في نسبة هذا الى النبي ﷺ ؟ الجواب: لا ، هذا الحديث في الصحيحين.

يأتي بعض الناس يقولون: لا ، النبي ﷺ يُغني شيءٌ، يُكذِّبون النبي ﷺ، يزعُمون أنّهم يُحبُّونه و يُكذِّبونه، يدعونه من الله ويقولون: يُغني عنَّا شيئًا، والنبي ﷺ يقول لعشيرته الأقربين: " لا أغني عنكم من الله شيئًا".

- " يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا" هكذا جاء في الصحيح وان كان لم يُذكر هنا: خصّص بعد أن عمّم بقريش ثم خصّص فذكر بني عبد مناف.

- " يا عبّاس ابن عبد المطّلب، لا أغني عنك من الله شيئًا" فخصّص عمّه.

- "يا صفيّة عمّة رسول الله، وهي أمّ الزبير ابن العوّام، لا أغني عنك من الله شيئًا".

- " ويا فاطمة بنت محمّدٍ سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا": حتى وصل الأمر أن يقول النبي ﷺ لابنته التي هي قطعة منه، لا أغني عنك من الله شيئًا، ثم المَح، قال لها النبي ﷺ : "سليني من مالي ما شئت" الذي أملكه فهذا أستطيع أن أعطيك ايّاه، ومعنى ذلك أنّه لو سألته ما لا يملك فانّه لا يستطيع أن يُعطيها، لا يغني عنها من الله شيئًا، وهذه الجملة –ياخوة–

جاءت هنا لفائدة عظيمة، سليني من مالي ما شئت، لو سألت النبي ﷺ ما يستطيع ما يملك لأعطاها، لكنّه لا يملك الجنّة و السلامة من النار الاّ بالبيان، فهم لا يغني عن أحد من عباد الله شيئًا، وهذا يدل على انّ النبي ﷺ لا يستحقّ أن يُدعى من دون الله أو يُعبد من دون الله واذا كان هذا النبي ﷺ لا شكّ أنّ غيره من المخلوقات من باب أولى.

وفي رواية عند الترمذي وابن حبّان وصحّحها الألباني، قال النبي ﷺ : ﴿ يا معشر قريش أنقضوا أنفسكم من النار، فانّي لا أملك لكم من الله ضُرًّا ولا نفعًا﴾

-يا معشر قريش أنقضوا أنفسكم من النار: بتوحيدكم، بإسلامكم.

-فانّي لا أملك لكم من الله ضُرًّا ولا نفعًا: هذا من الذي يقوله، يقوله النبيﷺ، و انّا مُصدِّقوا رسول الله ﷺ،

فالمؤمن المُحبُّ لرسول الله ﷺ لا يدعوا أحدًا من دون الله، لا يدعوا رسول الله ﷺ، ولا يستغيث برسول الله ﷺ ولا يستغيث بشيء من المخلوقات،

كما قلت لكم هذا من فقه الشيخ، لأنّ كل مؤمن يعلم عُلُوَّ مقام النبي ﷺ، فاذا ثبت هذا للنبي ﷺ مع عُلُوِّ مقامه، فمن باب أولى أن يثبُتَ لغيره.

قال فيه مسائل:

المتن:

الأولى: تفسير الآيتين.

الشرح:

في ترجمة الباب، نعم

المتن:

الثانية: قصة أُحُد.

الشرح:

نعم.

المتن:

الثالثة: قنوت سَيِّدِ المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الشرح:

ما مُرادُ الشيخ بهذا ؟

أن يقول انّ النبي ﷺ فقيرٌ الى الله و الصحابة الذين هم رؤوس الأولياء كانوا فقراء الى الله، كانوا يسألون الله عزّوجل، ليس المقصود الخبر بأنّهم يقنتون، لكنّ المقصود بيان أنّهم كانوا فقراء الى الله عزّوجل، و الفقير لا يُسأَل وانّما الذي يُدعا ويسأَل هو الله سبحانه وتعالى، نعم.

المتن:

الرابعة: أَنَّ المَدعُوَّ عليهم كفار.

الشرح:

حال الدعاء عليهم، و الاّ فقد أسلموا وحَسُنَ اسلامهم لكن عند الدعاء عليهم كانوا كفّارًا.

المتن:

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء لا يفعلها[1] غالب الكفار، منها: شَجُّهُم نَبِيَّهُم، وَحِرصُهُم على قتله. ومنها: التمثيل بالقتلى، مع أنهم بَنُو عَمِّهِم.

الشرح:

يعني أنّهم كانوا أشدّ أذًا للمؤمنين من غيرهم من الكفار ولذلك استحبُّوا أن يُخصَّهم النبي ﷺ بالدعاء عليهم، ومع ذلك كان أمر الله أن يُسلموا وأن يحسُنَ اسلامهم وأن ينقلب حالهم فكانوا ممّن يُجاهد في سبيل الله.

المتن:

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ﴾.

الشرح:

نعم.

المتن:

السابعة: قوله: ﴿أَو يَتُوبَ عَلَيهِم أَو يُعَذِّبَهُم﴾ فتاب عليهم فآمنوا.

الشرح:

مع دعاء النبي ﷺ باللعن، فهذا أكّد ليس للنبي ﷺ من الأمر شيء.

المتن:

الثامنة: القنوت في النوازل.

الشرح:

نعم، بعض أهل العلم فهم من هذا الحديث وأمثاله أنّه يُسنُّ القنوت في الفجر، لكنّ الصواب أنّ النبي ﷺ لم يُداوم على هذا القنوت، وانّما كان هذا القنوت عند

النوازل، ولذلك الصحيح أنّ السنة أنّه انّما يُقنَتُ في الفجر أو في غيرها عند النوازل، أمّا ان م تكُن هناك نازلة فا يُشرع القنوت في صلاة الفجر.

المتن:

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

الشرح:

ومن هذا أخذ أهل العلم أنّه يجوز للانسان أن يَدعُوَ لشخص باسمه في الصلاة، اللهم اشفي فلانًا، اللهم اشفي فلان ابن فلان، اللهم اشفي فلانة، اللهم زوِّج فلانة، ويجوز للمَظلوم أن يَدعُوا على من ظلمه باسمه في الصلاة، لأنّ المَظلوم يجوز له أن يدعوا على من ظلمه بمقدار مظلمته، فيجوز له أن يُسمِّيَه ولو كان في الصلاة.

المتن:

العاشرة: لعن المعين في القنوت.

الشرح:

و لم يكُن لعنًا وانّما كان دعاءً باللعن.

المتن:

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

الشرح:

نعم.

المتن:

الثانية عشرة: جِدُّهُ ﷺ في هذا الأمر، بحيث فعل ما نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الجُنُونِ، وكذلك لو يفعله مُسلِمٌ الآنَ.

الشرح:

نعم، النبي ﷺ كان شديد الجِدّ في الدعوة الى الله، ولَاسِيَما في التوحيد، وقد عاداه قومه، بل بعض أعمامه من أجل دعوته الى التوحيد، فقام عمُّه أبو لهب وقال: "تبًّا لك، ألهذا جمعتنا"، وكان يمشي عندما يذهب الى القبائل يدعوها الى التوحيد ويصفُه بالجنون، ويصفُه بالسَفَه، ويُلقِّبُه بالألقاب، هكذا لُقِّبَ النبي ﷺ ساحر وقالوا مجنون، لأنّهم كانوا يعرفون لفَصَاحتِهم أنّهم لا يستطيعون مُقابلة حجّة النبي ﷺ، فكانوا يُلقِّبونه،

ويجب على الداعية أن يتأسّى برسول الله ﷺ ، وأن يكون شديد الجِدّ في دعوة الناس الى التوحيد والسنّة، مخلصًا لله مُتجرِّدًا لا ينظر الى أحد من الناس وانّما يُريد

أن يُرضيَ الله سبحانه وتعالى، يدعوا الى التوحيد، يدعوا الى السنّة يُحسنُ البيان و يُحسنُ الكلام، مُحتَسبًا في ذلك وأن يصبر على الأذى، فانّه ما قام داعيةٌ هُدى يومًا من الأيّام الاّ ولُقِّبَ، من أجل أن يُنفَّر الناس منه على مرِّ التاريخ، قبل النبي ﷺ، عندما بُعِثَ الأنبياء و عند بِعثَت النبي ﷺ ما قام داعيةُ هدى الاّ و لُقِّب، والى اليوم أصحاب الباطل لا يستطيعون أن يُواجهوا الحجّة بالحجّة، ولا أن يقفوا أمام البراهين لأهل الحقّ، ماذا يفعلون ؟ يُلقِّبون أهل الحقّ بألقاب مُنفِّرةٌ، ويصفون أهل الباطل بألقاب مُقرِّبة.

يأتون الى داعية التوحيد ويقولون هذا وهّابي، ولازالوا الى اليوم يُلقِّبون أهل الحقّ بالألقاب من أجل إبعاد الناس عنهم، ويأتون الى من يدعوا الى الباطل ويقولون العارف بالله، المُحب لرسول الله ﷺ، العلامة، امام هذا العصر، ويُلقِّبون أهل الباطل بالألقاب المُقرِّبة، وهذا أمر معروف –ياخوة- لكنّ النبي ﷺ لم يترك الدعوة الى التوحيد يومًا من أجل هذا، لم يتخاذَل ول يَتوَانَا، و لم يأته ما يأتي الناس من الوساوس، الدعوة الى التوحيد تُفرِّق الناس، تعالوا ندعوهم الى الأخلاق، تعالوا ندعوهم الى الصلاة، ندعوهم الى الأشياء التي يتّفق عليها الناس، النبي ﷺ دعا الى التوحيد، دعا الى ترك الشرك، حذّر من الشرك ﷺ، أوذِيَ، لُقِّبَ، صبر ﷺ، وهكذا كلّ داعية صادق،

اذا أردت أن تعرف صدق الداعية فلا تنظر الى الألقاب، ولا تنظر الى الجماهيرية، ولكن أنظر الى ما يدعوا، زِنهُ بدعوة رسول الله ﷺ، زِنهُ بطريقة صحابة رسول الله ﷺ، هذا الميزان الصحيح الذي يُعرف به الدُعاة،

والله الداعية يوجد في بلد يكون معه الواحد والاثنان، لكن هو داعية الحقّ، كيف نعرف هذا ؟ ليس بالدعوة ولا بالألقاب ولا و لا، وانّما نزِنُهُ بدعوة رسول الله ﷺ، نزِنُه بطريقة صحابة رسول الله ﷺ.

المتن:

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: {لا أغنى عنك من الله شيئًا} حتى قال: {يا فاطمة بنت محمد! لا أغني عنك من الله شيئًا} فإذا صرح وهو سيد المرسلين أنَّهُ[٢]: {لا يغنى شيئًا عن سيدة نساء العالمين} وآمن الإنسانُ أنَّهُ ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن[٣]، تبين له التوحيد وغربة الدين.

الشرح:

وهذا –ياإخوة– واضح الدلالة على أنّه لا يوجد مخلوقٌ في الدنيا يستحقُّ أن يُعبَدَ لأنّه اذا كان النبي ﷺ لا يُغني عن بنته من الله شيئًا، فكيف بمن دونه من الخلائق.

نعم ، اليوم و في الأزمان المتَأخِّرة للأسف يقع الشِّرك في قلوب الخاصة و ليس عامة الناس ، بتعلُّقِهم بالمخلوقين في دعوتهم في استغاثاتهم في نذورِهم، و هذا يدلُّك على غربة الدِّين، و يدلُّك على أنّ الأمة بحاجة عظيمة إلى دعاة الصادِقين ، أعظم من حاجاتها إلى الأموال، أعظم من حاجاتها إلى الأسلِحة ، أعظم ما يصيب الأمة ما يتعلق بتوحيدها ، القتل أسهل من أن يقع الشِّرك ، أعظم ما تُبتلى به الأمة أن

يقَعَ الشِّرك فيها فالأمة بحاجة إلى الصادقين المخلصين الذين يترسَّمُون طريق النبي ﷺ .

(١٦) باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾[1].

الله أكبر، مناسبة هذا الباب –يا إخوة– للباب الذي قبله في أحدِ وجهين :

الوجه الأول :

أنّ هذا الباب من ذكر الخاص بعد العام لتأكيد المعنى ، و ذلك إذا قلنا إنّ الشيخ – رحمه الله– أراد في الباب السابق بيان أنّ كل مخلوق لا يستَحِقُّ أن يُعبدَ من دون الله لأنّه يتَّصف بأمور كما قلنا،

– أنّه لا يخلُق شيئًا.

– أنّه مخلوق مَربُوب.

– أنّه لا يستطيع نصر أحدٍ من دون الله

– أنّه لا يستطيع نصر نفسِه.

– أنّه لا يملك شيئًا مِلكًا مُطلقا تامًّا ،

فتكون الملائكة داخلة في الباب السابق ثمّ خصها الشيخ بهذا الباب من باب ذكر الخاص بعد العام **لتأكيد المعنى و تقويته**، هذا أحد الوجهين.

و الوجه الثاني :

أنّه ذكر هذا الباب لبيان القسم الثاني من المخلوقات، و هي المخلوقات العظيمة الغائبةُ عنّا ،حيث تقدَّم معنا في الباب السابِق ما يتعلَّقُ بالمخلوقات العظيمة التي نراها و نَعْرِفُها، من الإنس و مَنْ دونهم كالأصنام و الأشجار و الشمس و القمر و غيرها، هذه مخلوقات –يا إخوة- نراها، وتقدّم في الباب السابق أنّها لا تستحِقُّ أن تُعْبَد، و بيَّن الشيخ ذلك ببيان أشرفِها و أفضلِها و هو النبي ﷺ، ثم جاء في هذا الباب فبيّن لنا أنّ القسم الثاني من المخلوقات و هي المخلوقات الغائبة عنّا و هي "الملائكة" و "الجِّن"،

فالملائكة و الجِّن مخلوقات موجودة يقينا لكنَّ لا نراها هي غائبة عنّا، فأراد الشيخ أن يُثْبِت بهذا الباب أنّ المخلوقات العظيمة الغائبة عنّا لا تستحقُّ أن تُعبَد من دون الله، كما أنّ المخلوقات التي نراها و نعلمها و قد نُخالِطُها لا تستحقُّ أن تُعبَد من دون الله،

يعني هذا جواب عن سؤال، لماذا ذكر الشيخ هذا الباب بعد الباب المتقدِّم مع أنّ الباب المتقدّم فيه ما يدُلُّ عليه ؟

نقول لأحد الوجهين :

-إمّا من **باب ذكر الخاص بعد العام لتأكيد المعنى و تقويتِه.**

-و إمّا من **باب التقسيم.**

الباب السابق مُتعلق بالمخلوقات التي نراها و هذا الباب مُعلق بالمخلوقات العظيمة الغائبة عنّا.

فمقصود الباب –يا إخوة- أنّ الملائكة الذين خلقهم الله على هيئات عظيمة وجعل لهم أعمالاً جسيمة، كما قال الله عزّوجل : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ ، فالله جعَل الملائكة رُسلاً جعل للملائكة وظائف جسيمة، و زاد في خلْقِهم ما شاء –سبحانه و تعالى- ، وكما قال النبي ﷺ : ﴿أذِنَ لِي أنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ من ملائكة الله مِنْ حَمَلَة العَرْش﴾ ، أذِنَ الله لنبيه أن يُحدِّثنا عن ملك واحِد من ملائكة الله من حملة العرش ، ﴿إنَّ ما بين شحْمَةِ أُذِنه إلى عاتِقِه مسيرة سبْعِ مائة عام﴾ ، ما بين شحمة الأذن إلى العاتِق، يعني ما بين الرقبة مسيرة **سبع مائة عام** ، فكيف ببقيّة خلق هذا المَلَك ؟ و هذا الحديث رواه أبو داوود و صححه الألباني.

و كما قال النبي ﷺ : ﴿رأيْتُ جبريل عِنْدَ سِدْرَة المُنْتَهى لَه سِتُّ مائة جَنَاح، يُنْشَرُ من رِيشه تهاويل الدُّرِ و الياقوت﴾ ، رواه أحمد و صححه أحمد شاكر و حسنه الألباني، يعني النبي ﷺ يقول :

-**رأيْتُ جبريل عِنْدَ سِدْرَة المُنْتَهى**: على خلقَتِهِ.

-**لهُ سْتُ مائة جَنَاح يُنْشَرُ من رِيشه تهاويل** : التهاويل –يا إخوة- الألوان المُتَعِددة، يعني يُنشر من ريشِهِ ألوان من الذّر و الياقوت تتساقط من ريشِه إذاً

هذه الملائكة الذين خلقهم الله –عزّوجل– على هيئاتٍ عظيمة لا تستحِقُّ أن يُصْرَفَ لها شيء من العبادة و ذلك لأمور :

- **الأمر الأول :** أنّها لا تملِك شيئًا ،
- **الأمر الثاني :** أنّها ليست شريكة لله في ملكِهِ، فهي لا تملك شيئًا إستقلالاً و لا تملك شيئًا مُشارَكةً، فهي ليست شريكة لله ولو في أصغر شيء .
- **الأمر الثالث :** أنّها ليست مساعدة و معينة لله على أمر خلقِه ، فالله له الغنى المطلق، و هي الفقيرة إلى الله، فهي ليست مساعِدة و معينة لله – عزّوجل– و الله إذا أراد شيئًا إنّما يقول له **"كُنْ فَيَكون"** لكن يأمر الملائكة بأمورٍ يريدُها تفضُّلاً و إنعامًا و إحسانًا على الملائكة.
- **الأمر الرابع:** أنّها لا تملِكُ شيئًا تملك الشّفاعة إلاّ بإذن الله، و لا تنفع شفاعتُها إلاّ لمن رضي الله قوله و فِعلَه، يعني الموحِّدين في الجملة، ليس أنه يعني لا يكون مذنبًا و لكن المقصود أنّه من الموحِّدون.
- **الأمر الخامس :** أنّها لا تَخْلُقُ شيئًا.
- **الأمر السادِس :** أنّها مخلوقة.
- **الأمر السابع :** أنّها لا تنفع إلاّ بِأمر الله.
- **الأمر الثامن :** أنّها لا تَضُرُّ إلاّ بإذن الله.
- **الأمر التاسع :** أنّها تخاف ، و الّذي يخاف لا يستَحِق أن يكون إلهًا.

- **الأمر العاشِر :** أنّ عقولها تذهب، الملائكة لها عقول نعم ، و عقولها تذهب أحيانًا كما سيأتينا فلا تصلح أن تكون آلِهَةً.
- **الأمر الحاد عشر:** أنّها تُصْعَقُ و يُغْشَى عليها ، و مثل هذا لا يُصلَح أن يكون إلهً.
- **الأمر ثاني عشر:** أنّها تَخْضَعُ لله.

و هذه الأمور كلُّها –يا إخوة- من وجَدتَّهُ يَعْبَدُ غير الله بأي نوع من أنواع العبادة فسألْهُ عنها جميعًا ، فإنّها براهين ساطِعة على أنَّ من يَتَصِفُ بها لا يَستَحِقُ أن يُعْبَد، و إذا كانت الملائكة لا تستحِق أن تُعْبَد فمن باب أولى من كان دونها من المخلوقات،

و بهذا تعرفون فقه هذا العالم الجليل كيف أنّه يفقَه و يَنْتَقي الأدلة في أعْظَمَ صُوَرِ نفعِها، كُلُّ الأدلة نافِعة لكنّها تتفاوت تتفاضل، فالشيخ ينتقي الأدلة بأعظم صُوَرِ نفعِها و يُبَوِّبُ لها، و لذلك بوَّب هذا الباب العظيم

" باب قول الله تعالى : حَتَى إذا فُزِعَ عن قلوبِهِم": و المقصود بهم الملائكة كما دَلّت عليه الأحاديث.

إذَا فُزِّعَ: أي أُزيل الفزع مِن قلوبهم ،

فالملائكة أولاً : تَفْزَعْ ، و الفَزَع ما هو –يا إخوة- ؟ **الخَوْف المُفاجئ** ، لو أنّك تسير فجاءت سيارة مُسرعة بجاورِك، خِفت منها هذا **فَزَعٌ** ،

إذاً الملائكة أولاً تفزَعْ، ومادام أنّها تفزع فهي تَتفاجأ، و الّذي يتفاجأ لا يَعْلَمُ الغيب، لأنّ الّذي يعلم الغيب كيف يتفاجأ ؟

إذاً انتبهوا سبحان الله ما في هذه الآيات من البراهين العظيمة على توحيد الله و حُرْمَة الإشراكِ بالله و أنّه لا يوجد من يَستَحِق أن يُعبَد من المخلوقات ،

أولاً : أنّ الملائكة تَفْزَع تخاف، و قلنا الفَزَع هو الخوف المفاجئ، إذًا الملائكة تُفاجَأ ، طيِّب ،

ثانيًا : أنّها يُفَزَّعُ عنها أي يُزال الفزع من قلوبِها فلا تملِك أن تُزيل الفزع من قلوبِها، و لذلك قال الله : ﴿حَتَى إِذَا فُزِعَ﴾ ، فُزِع يعني : أُزيل الفزع من قلوب الملائكة.

أُنظروا في هذه الملائكة هذه البراهين الثلاثة، على أنّ الملائكة لا تَستَحِق أن يُصرف لها شيء من العبادة.

حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم : الملائكة لها قلوب و لها عقول ،

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ : إذًا ما عَلِموا ما كان وقت غُشِيِّهِم، عندما أُغشِيَ عليهم عندما صُعِقوا ما عَلِموا، فاحتاجوا إلى السؤال والذي يحتاج الى السؤال ما يستَحِق أن يُعبَد ،

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا الْحَقَّ : أي قال بعض الملائكة ماذا قال رَبُّكُم ؟ فقال بعضهم **وهو جبريل – عليه السلام**– ، أو بعض الملائكة كما سيأتينا في الحديث

الذي يقول هذا القول إمّا أنّه جبريل – عليه السلام – و يَقَع منه و إمّا بعض الملائكة أيضًا،

قَالُوا الْحَقَّ : يعني قالوا قال الله الحقّ.

–طيّب– الملائكة ما تعرف أنّ الله يقول الحقّ، الملائكة تعرِف أنّ الله حقٌّ يقول الحقّ ، إذاً ما فائدة أنّ جبريل –عليه السلام– أو بعض الملائكة يقولون قالوا الحقّ ؟ يعني قال الله الحقّ ما الفائدة ؟ هذا معروف عند الملائكة،

قال العلماء : هذا **لتعظيم الله** ، و إلاّ إنّهم يقولون كما سيأتينا في الحديث ما قاله الله قال كذا و كذا ، لكن يُقدِّمون لذلك بقولِهم، قال الحقّ وهذا من باب الثناء و التّمجيد لله –سبحانه و تعالى–.

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ : الذي له العُلُوُّ المطلق، العُلُوُّ بذاتِه فهو مُستوٍ على عرشِهِ فوق سماواته – سبحانه و تعالى– و مع عُلُوِّهِ لا تخفى عنه خافِية، هو معنا بسمعه و بصرِه –سبحانه و تعالى– لا يخفى صغيرٌ منّا عنه، و لا يخفى كبير منّا عنه، و لا يُخفي أحدٌ أحدًا عنه –سبحانه و تعالى–، لهُ العُلُوُّ في ذاتِه، العُلُوُّ المطلَق و العُلُوّ في صفاته، فصفاته كاملة لا يلحَقُها نقص، و له العلُوّ في قدره، و له العلوُّ في قَهْرِهِ – سبحانه و تعالى– ، الكبير الذي لا أكبر منه، و ذلك عندما نصلي نقول" الله أكبر" الكبير الذي لا أكبر منه –سبحانه و تعالى– ، فيقول جبريل أو بعض الملائكة ، **قَال الله الحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**، ثم يذكرون ما قاله –سبحانه و تعالى– ثم ذكر الشيخ الأحاديث التي تُفسِّر هذه الآية، نعم.

المتن:

[و][1] في «الصحيح» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «إذا قَضَىٰ الله الأمر في السماء، ضربتِ الملائكةُ بأجنِحَتها خُضَعانًا لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان[2]، يَنفُذُهم ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٣]، فيسمعُها مسترق السمع، ومسترقُ السمع هكذا بعضُه فوقَ بعض - وَصَفه سفيان بكفِّه، فَحَرَّفها وبدَّدَ بين أصابعه - فيسمع الكلمةَ، فيُلقيها إلىٰ من تحته، ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته، حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشِّهابُ قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يُدرِكه، فيكذبُ معها مائة كَذْبة، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»[3].

الشرح:

قاله في الصحيح أي صحيح البخاري.

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ:

- **إذا قضى الله أمراً في السماء:** أي إذا تَكَلّم الله بالأمر الّذي قضاهُ.
- **ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعاناً أو خَضعانًا:** أي ضربت بأجنحتِها خاضِعَةً، خاضعين لله -سبحانه و تعالى- لقولِهِ
- **كَأَنَّهُ:** الضمير يعود على ماذا ؟ يعود على وقْعِ الصوتِ في قلوبِهم، ليس تشفيقًا لقول الله، و إنّما تشبيه لوَقْع الصوت في قلوب الملائكة.

-**كأنّه سلسلة على صفوان:** يعني كأنه صوت سلسلة على صخرة ملساء، و ذلك لشِّدة وقع هذا الصوت في قلوبهم.

-**ينبُذُهم ذلك:** أي يدخُلُ إلى قلوبهم، و يتمكّن منها.

-طيّب- إذا وقع هذا سيأتينا أنّه يُغشى على الملائكة، و تسجُدُ الملائكة وسيأتي بيان هذا إن شاء الله. الّذي في الحديث: "فاذا" ما فيه "حتى"، فهذا الكلام للنبي ﷺ.

-**فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ:** يعني موجود عندكم،

-**قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ:** فيسمعها مُسترِق السّمع،

مسترقُ السمع —يا إخوة- مردة الجّن كانوا قبل بعثة النبي ﷺ يتخِذون مقاعِد للسمع في السماء، و كانت تأتيهم الشُّهُب، يُرمَونَ بالشُهُب، لكن لم يكن ذلك كثيرًا لأن النبي ﷺ سأل مرّة الصحابة الّذين كانوا معه، "ماذا كنتم تقولون إذا رأيتم ذلك (أي قبل الإسلام)" ، إذا كانوا يُرْمَون بالشُهب ، لكنّ ذلك لم يكن شديدًا ولا كبيرًا ، وذلك كانوا يتّخِذون مقاعِد للسمع، يستَرِقون السمع من قبل بعثة النبي ﷺ ، فلمّا بُعث النبي ﷺ مُلِئت السماء حَرَصًا شديدًا و شُهُبًا ، فجاء الجّن يلتمِسون يختبرون السماء هل فيه منفذ ؟ فوجدوا أنّها مُلِئت حَرَصًا شديدًا و شُهُبًا، دون وُصُولِهم الى السماء ومع ذلك يوجد مع الحَرَصْ،

و لذلك قال العلماء :

إنّ الجّن مُنعوا من استراق السمع عندما بُعِث النبي ﷺ في حال حياتِه، ولذلك – يااخوة- لّما رأوا ذلك عَلِموا أنّه هناك أمرًا عظيمًا سيقَع في الأرض، و لكن بعد موت النبي ﷺ عادوا إلى استراق السمع، و لكن ليس كالسابِق، و كان منهم من يريد أن يستَرِق السّمع في زمن النبي ﷺ تُدْرِكُه الشُهُب فلا يَصِلوا من استراقهم إلى الأرض شيء، متى هذا ؟ في زمن النبي ﷺ، فكان الوحيُ يترِلُ إلى النبي ﷺ نقِيًا، و لا تسبِق الجِّن بشيء و لا تسترِق شيئًا ،

إذًا ما كان في زمن النبي ﷺ ؟ مُلِئت السماء حرصًا شديدًا و شهُبًا فإذا أخَذَ أحدُهم يريد أن يستَرِق، جاءه الشِّهاب، أدْرَكَه الشِّهاب قضى عليه، لكنّ الراجح أنّه بعد موت النبي ﷺ عادت الجِّن عادت مرَدَت الجِّن و لكن أضعف ممّا كان.

قال فيسمعها مُستَرِقُوا السمع: و سيأتينا إن شاء الله بيان كيف هذا، و مُستَرِقوا السمع هكذا، **بعضهم فوق بعض، لم** يتضّح لنا هنا من الذي وصفَ، هل هو النبي ﷺ وصف لهم مُسترِق السمع ؟ أو هو أبو هريرة رضي الله عنه هو الذي وصف لهم مُستَرِق السمع، أو سفيان بن عيينة هو الذي وصف لهم مُسترق السمع ؟

أعني –يا إخوة- أنّه هكذا بعضُهُ فوق بعض من الّذي قال هذا ؟ لم يَتَضّح لنا، لكن الذي إتَضَّح لنا أنّ الذي وَصَف هذا القول وبيّنه هو سفيان، كيف ؟ لم يَقُلْهُ، لم يتضِّح لنا أنّه هو الّذي قالَهُ لكن بيَنْ كيف يكون بعضُهم فوق بعض ؟ حرَّفَ يَدَهُ هكذا و فَرَّجَ بين أصابِعِهِ، يعني يكونون هكذا ، ليسوا مُتلاصِقين و لكنّهم

متقارِبون، و لذلك حَرَّف يدهُ و فرَّج بين أصابِعِهِ يعني فرَّقَها و فَرَّجَها، فهذا وصفٌ بالفعل لكونِ بعضِهم على بَعْض، لكن من الّذي قال هذا ؟ الله أعلم، لم يَتَّضِح في الرواية و إن كان بعض أهل العلم يقولون : إذا أُطْلِق فهو من قول النبي ﷺ لأنّه لو كان من قول أبو هريرة لبيَّنهُ، ولو كان من قول سفيان لبيَّنه.

قال فيسمع الكلمة أي الأعلى التي قالتها الملائكة لأنّ الهع قالها،فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن :

و هذا لَهُ وقفة لعلّنا نَقِفُ هنا و نُكمِل الوقفات مع هذه الأحاديث في مجلِسِنا غَدًا إن شاء الله و الله أعلم.